أنا فلسطين

أنا فلسطين.. بلد الأسير والمجروح ، بلد الشهيد والمذبوح ، بلد المطارد والمطلوب ...هل هناك أحد لم يتعرف علي ؟!

ومن قلب أرضي اكتب لكم قصة أولادي ، شبابي ...

سأتكلم عن أحمد صاحب القلم ، عبد المؤمن صاحب السيف ، جمال صاحب الزاد ....

كيف جمع القدر بينهم سأروي لكم قصتهم من آلاف القصص التي احتويها ، جُرحي عليكم يا أبنائي مازال ينزف بإصرار ، كم حاولتم أن تزيلوا الندوب ؟!. ؛ ولكن الذي لا يرحمكم داس على الأوتار ...

أحاول أن أصرخ وأقول واامعتصماه ، أسمع صدى صوتي آت من جميع الجهات ....

كم صرخت من أجلكم ، من أجل حقكم ،من أجل حريتكم ، لم اسمع سوى صوتكم من يُلبي النداء ....

وأنتم يا أصحاب العقول النيرة يامن قرأتم عني بالكتب والدفاتر أعلم مدى حبكم لي ولأبنائي ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ...

هل لديكم مانع بإخباركم قصة ابنائي ؟؟!...

أحمد ... عبد المؤمن ... جمال ... قصة من آلاف القصص في جعبتي ...

ابني أحمد يحب الكتب صاحب قلم يعشق الشعر والمسرحيات ، ما بال مديرك يا نبض قلبي ؟ ، هل لم يعجبه ما كتبت له ؟..، أسمع حواركم جيدا فانت تقول له...

احمد / يا أستاذ ياسر أنا حاولت ولكن اعدك سأحاول مرة أخرى وأكتب وأُظهر المشاعر والإحساس..

المدير / أحمد ..أنت كاتب يجب عليك كسب قلوب ، كم مرة يجب أن أخبرك أين الاحساس ؟ ،أريد احساس أريد صدق مشاعر...

أحمد/....حسنًا، حسنًا أريد مهلة فقط اسبوع، سأجلب لك سيناريو ملئ بالمشاعر والإحساس.. سأكتب لك ما عشته.. هل هذا يرضيك؟!

المدير/..أحمد اعلم انك مجنون و صاحب افكار رائعة ولكن ماذا تقصد بانك ستكتب ما عشته؟!

احمد/..سأذهب الى الحدود و أعيش الواقع ...مشاعر الخوف و الرعب و الشجاعة...

المدير قاطعه مسرعا/...مجنون ، أقسم مجنون... بني أعطني السيناريو لقد احببته...أريده وأذهب إلى بيتك بأمان.....

احمد/.. مديري أرجوك ...لا تخف ساعة واحدة أعيش فقط بينهم ساعة ...

المدير/ يا بني.. أتعلم أن الأوضاع غير مستقرة !، واليهود لا ترحم من تراه ، أرجوك أعدل عن رأيك وأذهب لبيتك بأمان.....

مسك أحمد السيناريو وسلم على مديره ، وغمز له وقال : بعد أسبوع أراك بصوت عالٍ وخرج مسرعاً.....

أراك أيها المدير وأنت تضرب يديك ببعض وتقول "لا حول ولا قوة إلا بالله..."

بنفس الوقت ولكن بمكان آخر ، عبد المؤمن يحضر نغسه للمناوبة الليلية مع صديقيه ، حضن والدته وقبل والده وكما يفعل يومياً طلب منهم الدعاء له....

وشاءت الأقدار عبد المؤمن مناوب على القرب من الحدود....

بينما أغلب البشر نيام ، هناك فى أرضي من لم يذق النوم ليلاً ، ليس سهراً مع أصدقائه بل حماية أرضي من أعين المتربصين...

أما ابني جمال كانت حالته في ضياع ، والده مريض قلب يرقد في الشفاء....

في ليلة الأثنين مع فرض منع التجول في البلاد ، كان ثلاث أشخاص عبد المؤمن يقف حارساً للحدود ، أحمد يتسلل بخفة نحو الحدود ، جمال يحاول ان يصل لبيته بسيارته ولكن الطريق مسدود...

لاحظ عبد المؤمن أحمد وهو يتسلل أعتقد بانه شاب باع وطنه بالرخيص حاول التربص له والامساك به... فمن هذا الشخص الذي يأتي لمكان هكذا بوقت كهذا....

في تلك الليلة وجوها المرعب وإنارة سماءها ليس من النجوم ولكن من القذائف ، تسمع صراخ هنا وهناك ...

أتعلم يا من تقرأ أحرفي... كان من المفترض أن تكون ليلة هادئة ، قمرها مكتمل ، نجومها ساطعه ، هبوب رياح خفيفة ، هذا من المفترض أن يكون ولكن أنا فلسطين.....

أراك يا أحمد وانت تتنفس بسرعة يا ولدي تريد الرجوع الي بيتك ، أردت ان تعش الأحداث يا بني وتكتب ما شعرت به

أخبرني ما هو شعورك الآن ؟؟!...

عبد المؤمن لم تنظر لأحمد هكذا ! ، هل تعتقد انه عميلاً وباعني ؟!..

فجأةً...

صرخت عالياً وكأني أريد من أبنائي سماعي ....

يا الله ... أحمد ، عبد المؤمن أبنائي هناك في سمائي قذيفة قادمة بالقرب منكم .....انتبهوا ....

اقتربت القذيفة من الأرض... أَصدرت صوت عالٍ ... كانت على مقربة من أبنائي....

وضع أحمد يديه على أذنيه ، ارتعاش جسمه واضح ، مغلق عينيه يصرخ بصوت عالٍ ؛ ولكن لا أحد يسمعك من صوت الإسعافات والدمار ، أنا سمعتك يا ولدي ، سمعتك تناجي رب العالمين ، وتصرخ وتقول الرحمة يا الله ...

أما أنت يا عبد المؤمن قليل لو قلت بأنك أسد فلسطين ، ثباتك وقوتك هم أساس بنائي ، تضع روحك على كتفيك وتجري هنا وهناك يا لك من بطل مغوار وعظيم ...

بدأ أحمد بالتحرك من دون وعي ، أراد الهروب والرجوع لكتبه ، لدفاتره ، لأقلامه ، ما أجمل منظر قلمك يا أحمد وهو في جيبة قميصك الأزرق ...

حاولت يا أحمد الهروب أراك تجري مسرعاً ، عبد المؤمن ايضاً يحاول الوصول اليك... لا أعلم هل أراد مساعدتك أم انه شك بك يا ولدي ...

وما أجملُ لقاء الصدف !! ، أحمد وأنت تحاول الهروب ، كان شخص آخر خائف ويهرب من القذائف ، واصطدمَ بك يا بني والقاك ارضاً وتوقف بسيارته بعد أن أصابك...

هبطت من سيارتك يا جمال مسرعاً ، رعشة يديك واضحة ، تنفسك السريع مسموع ، دقات قلبك قد لمست قلبي ،

بدأ تتكلم بسرعة ، كلام غير مفهوم وصوت متقطع ومرتبك ، لما كل هذا الارتباك يا ولدي هل بسبب القذائف ام لاصطدامك لشخص ، ام رؤية سلاح عبد المؤمن وهو موجه لك ، بني وضعك لا يحسدك عليه احد ....

صوت صراخ أحمد دفعك يا جمال لوضع يديك على رأسك بدأت تبرر وتقول لم أقصد أقسم لم اقصد صوت القذيفة اخافني وشتتني كان قريباً....

صرخ بكم عبد وقال /"هذا يكفي ثم أشار لك وقال ستحمل المصاب وتسعفه لست بمزاج مجاوبتكم لم أنتم هنا ولكن أريد بطاقة كل شخص فيكم..."

قاطعك يا عبد صديقك وقال/" عبد لم تذهب معهم خوفا من غدر احدهم... "

وافق عبد آنذاك وحمل أحمد وركب بسيارة جمال وانطلقوا الى الشفاء....

بعد ساعات وهدوء في البلاد ...

بسبب حادث سيارة جمال تم تجبيص قَدَم أحمد فلقد كسرت من الحادث ، كان عبد المؤمن معهم لم يفارقهم وتعرف على أحمد وعلى جمال مع ذلك لم يُأمن لهم وخاف من كون أحدهم عميلا ...

أوصل جمال أحمد الي بيته وعند وصولهم الي حارته طلب عبد المؤمن من احمد الاتصال بأحد من اخوانه لمساعدته...

قال أحمد /" أنا وحيد وأعيش فقط مع أمي ليس لي أخ او أخت و أبي شهيد .."

جمال / "أنا اسف لحالك يا صديقي.. لست أحسن من حالك والدي قابع في المشفى ...وبين الموت والحياة مما سبب لي الارتباك....

عبد المؤمن موجه كلامه لأحمد وجمال / "ماذا تقول أنت وهو ألسنا أبناء أرض واحدة... ووطن واحد.. فأنا أخ لكل منكما وأنا سأحملك يا أحمد على ظهري وإن لزم الأمر فأنت ستكون على رأسي ...

ضحك احمد ضحكة ممزوجة بدمعة خفية أهي دمعة الم أو حزن او فرحة ...

دق جمال باب بيت أحمد فُتح الباب وكأن سُكانه تقف خلف الباب مباشرة ...

لهفة أُم أحمد كانت واضحة ، شهقت عندما رأت عبد المؤمن يحمل أحمد على ظهره وقبل أن تبدأ بطرح الأسئلة قال لها جمال /...لا تقلقِ إنه بخير مجرد حادث...

بعد مدة قصيرة من ذاك الحدث ، وهدوء في المكان ليس فقط في بيت أحمد ولكن أيضاً في أرضي أرض فلسطين...

بعد أن قامت أم أحمد واجب الضيافة لجمال وعبد المؤمن ، لم تدعهم الذهاب دون ان تنال شرف ضيافتهم ، هكذا الأم الفلسطينية ، جميع الشباب تكن بمثابة أبنائها...

ودع جمال وعبد المؤمن أحمد وهمّ كل منهما الرحيل فقد تأخر الوقت كثيراً ويجب عليهم الرحيل ، طلب منهم أحمد البقاء في بيته والبيات فيه نظراً لتأخر الوقت ولكن لم يُفلح الحاحه ، نظر أحمد لهم وكأن أراد إخبارهم لا تتركوني فأنا أريد أخا يكن سند لي حتى لم تنجبه امي...

وعندما خرج الشابان من بيت أحمد...

نظر جمال لعبد وهو يضع يديه بجيبه وقال عبد هل تستطيع أن تأتي معي بعد يومين لزيارته...

عبد وهو يحاول ترتيب قميصه بالتأكيد يا جمال انت شاب طيب سامحني لاني ظننت بك سوءا...

بعد يومين....

أتفق الشابان على اللقاء في بيت أحمد ، هؤلاء أبنائي يا من تقرأ ، التماسك والثبات ، القوة والشجاعة ، الصبر والمسامحة ، ورثوها مني ... أنا فلسطين....

دق باب بيت أحمد فتحت الأم وبدأت سرائر وجهها بالابتسام قالت بصوت مرتفع مصحوب بالفرحة /أحمد بني أنهم جمال وعبد المؤمن ..

خرج أحمد من غرفته وهو يتعكز على الحائط وكأنه ينتظرهم من وقت...

قال /"أخيراً لقد انتظرت زيارتكم بفارغ الصبر"....

ذهب إليه عبد المؤمن مسرعاً ومد يديه له وكأنه يخبره أسند علي/" كيف حالك يا أحمد ..."

قاطعه جمال مازحاً/ بالتأكيد أفضل حال منا أشعر وكأن وزنه قد زاد "... قال ذلك وهو يحك رأسه ويتفحص بأحمد بدقة...

قال أحمد له وهو يلف يده اليمنى حول كتفي عبد المؤمن/ "الله اكبر الله اكبر ...

أمي اصنعي لنا الشاي ولا تحسبي حساب ذاك الشاب..."

..ضحك الجميع تركت الأم الشباب وذهبت للمطبخ...

أما الشباب جلسوا وجذبهم الحديث...

أسمعكم جيداً يا أبنائي ... أسمع ضحكاتكم ... أسمع مزحكم ... كم أشتاق للجلوس بينكم وأخبركم بأني أعشق صبركم.....

أحمد/ "عبد ما شاء الله أنت صاحب قوة بدنية لا أحسدك يا ولكن كيف لك ان تكون هكذا جسمك رشيق ومفتول العضلات غير جمال روحك وجمال وجهك يا صاحب العيون البنية اما لحيتك احتاج الى شعر في مدحها....."

ضحك جمال من كلام أحمد وقال له/ "أخشى عليك يا عبد المؤمن من عيون ذاك " وغمز لأحمد مازحاً...

نظر له أحمد وهو رافع لحاجبيه _كان منظرك مضحكاً يا بُني، أرى عبد وهو يَخفي فمه بيديه من الضحك_

احمد /" أما أنت يا جمال فاسمك عكسك ، صحيح انت طويل وعيونك زرقاء ولكن لا تعجبني لكسرك رجلي هذه ، مهما حاولت لن تعجبني ..."

ضحكت عليهم يا عبد المؤمن بصوت عالٍ وخاطبتهم/" كم كنت احمقاً عندما اعتقدت بكم السوء يا رفاق..."

نظرا إليك وكأن أعينهم تسألك ماذا تقصد ؟؟!....

عبد المؤمن وجه حديثه لأحمد /"ماذا كنت تفعل هناك يا صديقي..."

أحمد/" أنا شاب أحب الكتابة القلم هو زادي ، الدفتر هو نبض حياتي ، إن اردت البكاء افرغ حزني بشعري ، كان يجب عليّ تحضير نص يتكلم عن وضع أحدهم ....

نجا من قصف عنيف وبدأ حياته وكل ما أكتب نصاً لا يعجب مديري قائلاً أن المشاعر غير صادقة والاحساس لا يصل له...

لذلك أردت ان أعيش الحدث..."

نظرا إليه عبد المؤمن وجمال والدهشة لا تفارق أعينهما وقالا بصوت واحد /.....

نظرا إليه عبد المؤمن وجمال والدهشة لا تفارق أعينهما وقالا بصوت واحد /.....

"هل أنت مجنون؟؟؟!!!!!....."

نظر إلهم وقال / "نعم مجنون... لأني أعشق فلسطين... مجنون لأني أريد الحرية والأمان ...أريد من كل العالم رؤية ما يحدث لنا حتى لو ما كتبته كان قليلاً.... فأنا ابن فلسطين...."

قال له جمال مقاطعاً له /" هل أنت مشارك في كتابة أجمل نص مسرحي عن فلسطين؟؟!...."

نظر له أحمد مسرعاً /"نعم ...نعم ...هل ستكون داعماً لي يا رفيق؟؟!..."

ضحك جمال وقال/" إذن ماذا سأستفيد؟ ..."

ضحك أحمد وقال وهو رافعاً لرأسه/" بالتأكيد توقيع مني يا صديق وبطاقة خاصة لك ..."

قاطعه عبد المؤمن /" وانا يا صديق فأنا ايضاً أحب أن أشاهد جنون ما تكتبه ...وبالتأكيد سأصوت لغيرك"....

نظر إليهم أحمد وهو فاتح لعينيه بوسع وكأنه أنتظر اجابة مرضية منهم.....

ضحك الشباب على منظره ، وكأن صداقتكم منذ زمن يا سبب وجودي....

قاطع حديثهم أم أحمد تدعوهم لتناول الإفطار ....

قال أحمد مازحاً /" أمي هذا لا يكفي.... هناك من يهتم بعضلاته"...

ضرب عبد المؤمن كتف أحمد وقال خجلاً /"لا تصدقي يا خالتي ، أنه يبالغ..."

قضى الوقت سريعاً ... هكذا هو الوقت لو كان سعيداً ينقضي من دون شعور منا ... ولو كان مملاً تجد الساعة لا تتحرك...

كم أتمنى ان يتوقف الوقت الآن من أجل سعادة أبنائي... يكفى دماراً .... يكفى تعذيباً ..... يكفى ألماً.....

بعد عدة أيام....

توطدت العلاقة بينهم وأصبح الشباب أكثر من أخوة... في كل أسبوع يلتقي الاصدقاء في بيت أحمد بسبب رجله ، ولا تخلو جلستهم من الشجار والمزح والجد .... (آه لو كان بيدي الجلوس بينكم وأخبركم بما أشعر به وسطكم ....)

وأخيراً جاء اليوم الذي سيفك فيه الجبس لأحمد ، كان حزيناً ، متوتراً ، شارداً ، لاحظ عليه جمال وعبد المؤمن استفسرا منه سبب شروده قال لهم...

أحمد /" هل ستتركانني بعد أن أفك ذاك الجبس ؟؟! ، هل علاقتنا ستنتهى هنا ؟؟! ، هل يا جمال زيارتك لي لأنك كنت تشعر بالذنب اتجاهي ، هل يا عبد شككت بي لذلك أردت أن تثبت أو تنفي شكوكك ؟؟!....

يا أصدقاء أنا أحتاج إليكم .... "

جمال متأثراً بما قاله أحمد / "اذن هل أكسر لك رجلك الأخرى ؟؟! ، أم يدك هذه المرة حتى لا تكتب ؟؟! ، ام لسانك الذي سأقطعه بسبب ما قاله الآن ؟؟! .. "

عبد المؤمن وهو ينظر لهم / " أحمد اذا بيوم لم أكلمك يا أخي تأكد وقتها أخاك نال الشهادة ، تأكد وقتها حلم حياتى تحقق ، الله أعلم كم أحببتك أنت وجمال رفيق دربي الآن ... ، ولكن سؤالي لك أحمد ... لو سمعت نبأ استشهادي هل ستكتب نثراً بي...؟؟! "

أخبرته حينها يا أحمد /" أنت استشهد وسيكون أجمل نثر ، أتعلم سأجعل جميع الناس تبكي ..."

ضحكت وقتها يا أحمد ، ولكن أشعر بك كنت خائفا من الفقد ، بينت لهم أنك قوي ولكن لن تخفى مشاعرك اتجاهي فأنا أعلم وأنت تعلم أنت خائف من الفقد... أنسيت يا بني أنت في فلسطين أنتم في أرض كل شخص بها يحمل روحه على كتفه ويمشي....الموت يأتي في لحظة واحدة ولكن في فلسطين يأتي بأي لحظة ....

بعد أيام واقتراب حلم أحمد ....

اقترب موعد مسابقة نادي الكُتاب ، اتصل أحمد على أصدقائهم وأتفق على اللقاء ...

توجه كل من عبد المؤمن وجمال لمسرح أحمد وبعد تفحصهم للمكان....

قال جمال/" أحمد الديكور يحتاج لترتيب ، ذاك المكان يحتاج للأناقة أكثر من ذلك..."

وقال عبد المؤمن/" تنقص هذه الصور الروح فيها ، من أين لك بهذه الصور؟؟!..."

قاطعهم أحمد وهو يمسك بقلمه/" أصدقائي ... أنا صديقي القلم ، أما أنت يا جمال صديقك المال.. فأنت غني وتفهم بأمور الأناقة ، أما أنت يا عبد المؤمن فصديقك السلاح تفهم بأمور الشجاعة أكثر مني ، لذا اطلب مساعدتكم في ترتيب المكان... احتاج للزاد والسيف ليربطوا مع قلمي... هل أنتم موافقون؟؟! "

وقف جمال وقال /"اذن اتركوا لي ديكور المكان ، وترتيب الألوان ولكن يا أحمد ....(ونظر له واقترب...) أين سأجلس يا صديقي في هذا المسرح ..."

أشار أحمد سريعا ًلآخر المسرح وقال/" هناك يا رفيق بالتأكيد"...

ضحكت بصوت عالٍ عبد المؤمن وقلت/" وأنا سأهتم لك بالصور والمجسمات دع هذا الأمر لي ، مادام قصتك تتكلم عن فلسطين وأبنائها فأنا أولي بهذه الأمور ، وسأقوم بمساعدتك ولكن ...(أقترب من جمال وقال)هل سأجد مكان بجانبك يا صديقي في آخر المسرح؟؟!.."

أحتضنهم أحمد وقال/" لو كان لي أخاً هل سيساعدني مثلكما؟؟!..."

ثم نظر اليهم وهو يخفي دمعته الهاربة/" سأجعل مكانكما على رأسي...أشكر القدر على جمعي بكم.."

مضي أسبوع أحمد وجمال وعبد المؤمن يرتبوا المسرح ، اللفتات والكتابة على أحمد (قلمي) ، ترتيب الديكور والألوان والأناقة من نصيب جمال (زادي) ، المجسمات الخاصة بفلسطين والرسومات كانت من نصيب عبد المؤمن (سيفي) ، كان مسرحاً ولا بالأحلام كم تمنيت أن تروا ما فعله أبنائي من أجلي ؟؟! ، كم تمنيت أن تروا ما صممته أناملهم ؟؟! ...

ولكن هل سبق وأخبرتكم دائماً أوقات السعادة تنقضي سريعاً؟؟!....

كان جمال يساعد عبد المؤمن في أمور أخرى ، أحمد على علم بها..

اموراً تخصني أنا ، أنا فلسطين ... مد جمال يده للمقاومة ومن زاده أعطاهم ، ساعدهم بالمال...

الدفاع عني ليس فقط بالسيف ، هناك من يدافع عني بقلمه كأحمد ، وجمال بزاده ، واقواهم عبد المؤمن بروحه وبسيفه...

قدم جمال لعبد المؤمن ورفقاءه بالدرب مصنعاً لعمل كل ما يلزم ...

أتعلم أيها القارئ بعد ثلاث أيامٍ سيكون موعد الشباب مع مسرحية أنا فلسطين ، نسيت اخبارك مدير أحمد تعجب من نص أحمد ، رأى ما كان يبحث عنه ... لا يعلم بسبب ذاك النص كانت روح أحمد ستزهق بسبب القذيفة...

كان أحمد متوتراً ، شارداً ،هو يعلم جيداً سبب ارتباكه ومع ذلك يقنع نفسه ان السبب غير ذلك....

أتصل على اصدقائه وأخبرهم بتعبه ، بتوتره ، أراد أن يخفف عن نفسه...

جاء الأصدقاء وحاولا تخفيف الامر عليه ، بدأ كل عبد المؤمن وجمال المزح معه لإعادة روح أحمد له ...

(ماذا يا صاحب القلم ماذا بك ؟؟-قالها عبد المؤمن وهو يجلس بجانبه _هل بدا قلمك بالخوف؟؟!...)

وقف أحمد متوتراً/" هل تعتقد الناس ستحب ما كتبت يا صاحب السيف ؟؟!"...

قال له جمال وهو يضع يديه على كتفه/" بالتأكيد يا أحمد ألم تقل سابقاً القلم أساس الحياة؟؟! ، هل تراجعت ام ماذا؟؟!"....

وضع جمال يديه على رأسه قال بصوتٍ ساخر /" هل قلمك مات يا أحمد ؟؟! ، ارجوك لا تقل ذلك؟؟! ، مصيبة مصيبة مصيبة "...

ضحكت يا أحمد وأصبحت شخصاً مختلفاً من متوتر لمرتاح البال... ، وكأن هناك سحر بصداقتكم لتغيير مزاجك بتلك السرعة ..

ثم بعد أن هدأت مسحت رأسك وقلت /"أتمنى ان تنال اعجاب المشاهدين ، ليس لأني أريد الشهرة ، ولكن أيد أن تصل للجميع ، اذا نالت مسرحيتي الجائزة سيتم بثها على برامج التواصل الاجتماعي ، صدقاً هذا ما اريده ان يعلم العالم أبناء فلسطين بشر مثلهم ، فلسطين بلد عربية ، اسلامية ..."

هدوء فى المكان وكأن قلمي هزم زادي وسيفي بكلامه ... ،

اقتربت يا أحمد من درج مكتبك المليء بالأوراق والكتب ، وأخرجت بطاقتين ، البطاقة كانت مستطيلة الشكل مكتوب بخط عريض وسطها (أنا فلسطين) ودعوة خاصة أسفل العنوان ، البطاقة الأولى كانت بإسم جمال ، والبطاقة الثانية بإسم عبد المؤمن ، وأسفل كل بطاقة توقيع من أحمد وبجانب اسمك يا أحمد كتبت القلم...

تقدم أحمد من جمال وعبد المؤمن ومد يده بالبطاقة وقال/"

جمال خذ هذه بطاقتك وأنت يا عبد هذه بطاقتك أول الضيوف أنتم..."

مسك عبد المؤمن بطاقته وقال مازحاً لأحمد/" أخشى أن أكون أنا وجمال فقط بالمسرح يا صديقي"....

ضحك جمال بصورة هستيرية ...نظر لكما أحمد وهو رافعاً لحاجبه مع التواء بفمه ..... ثم ضرب أحمد عبد المؤمن على يديه ، وبسرعة خاطفة أخذ البطاقة منه وقال /"لن أعطيك بطاقتك ستكون معي وأنت ايضاً يا جمال لن أعطيك حتى تعترفوا أن القلم هو اساس الحياة..."

ضحك جمال وقال /"يا صديقي لولا المال ما كان منظر مسرحك بهذا الجمال المال سبباً في تطور البلاد..."

قبل أن تكمل كلامك يا زادي هناك من قاطعك ...

وقف عبد وأشهر سلاحه وقال/" لو كان كلامكم معقولاً فلماذا وجد هذا السلاح ؟؟! ،هو أساس الدفاع ....

فلسطين تحتاج لي ولأمثالي.."

في هذه الأثناء رن هاتف عبد المؤمن ، لهفة عبد الى هاتفه كانت واضحة وكأنه ينتظر تلك المكالمة ، نظرات جمال له كانت تعي بأنه يفهم سبب لهفته ، مكالمتك لم تتعدى الدقيقتين ، أنهيت مكالمتك وجئت مسرعاً لجمال وقلت له /" كل الأمور أُنجزت ، جاء دورنا الآن .... "

نظرت لهم يا أحمد ووجهك دليل على عدم فهمك .... أخبراك هناك أمر مستعجل ... وطلبوا الأذن لساعة حتى يتموا الأمر ، هززت رأسك وفهمت أنه أمر يخص مقاومة فلسطين وقلت/" انتبهوا ارجوكم ولا تنسوا أمي تحضر العشاء لنا ، أنا احتاجكم اليوم ....."

مسك يدك عبد المؤمن وكأنه يبث الأمل لك وقال /" فقط ساعة يجب ان ننقل شيء للشباب ونعود سريعاً ان شاء الله ، انتظرنا ... "

أراك يا أحمد وأنت تودع أصدقاءك على الأمل اللقاء والعودة لك ، مزحت معهم بعدم اعطاء التذاكر لهم ....

ولكن تذكر كلامي جيدا ....، ستتألم كثيراً ، وتتمنى أن تعود لك تلك الدقيقة وتسحب منها يدك قبل أن تأخذ البطاقة منهم ، يا ليتك تسمع صوتي ، يا ليت جمال وعبد المؤمن يسمعن أنين قلبي..

جمال أرى وجهك مبتسماً تضع يدك على كتف صديقك بل اخاك عبد المؤمن ، أقسم لكما من يراكم بهذا المنظر لا يصدق أنكم صديقين.... بل يقال عنكم أخوين..

عبد المؤمن أراك يا أسدي تنظر خلفك ، هل قلبك يشعر بشيء، وصلت لسيارة جمال ومازالت أعينك تودع أحمد ...

أسمعك جيدا يا عبد تقول لجمال " هل تعتقد ذاك الخائن يتناول عشاءه من دوننا "...

ضِحكتُك يا جمال جرحت قلبي... يا ليتكم تسمعون صوتي... يكفيكم ضحكا انظرا خلفكما أرجوكما.... هناك من يتربص فيكم ... هناك يا عبد من يتصل على عدوكم ... هناك يا جمال من باعني ... هناك من داس على أوتاري... لا تتركوا أحمد ، أنه ينتظركم.. ، ليس له أحد من بعدكم...

عبد بني جمال انظرا هناك قذيفة آتية في سمائي ، أعلم .. أعلم خط سيرها يا أبنائي ، أرجوكم اقفزوا من هذه السيارة....

اااه يا وجع قلبي .... لقد اهتزت قلبي بصوت الانفجار...

كم تمنيت لو أحدكم سمع صوتي ، كم أتألم أنا الآن....

جمال لم تركتنى وتركت أحمد ، جمال بني حاولت أن أحذركم ، لو الأمر بيدي ، لاحتضنت الصاروخ في باطني ، ولن أجعل له منفذا....

عبد المؤمن يا أسد فلسطين ، من سيُمتع نظري برؤيته حول الحدود ، من سيكون سبباً ببقاء اسمي يرن فى سماء دول العالم ، من سيأخذ البطاقة من أحمد ...

ألم تخف أن يتناول العشاء لوحده ، لا تخف ... لأنه لن يتناول العشاء مع أحد ...

أنت يا من وشيت عن أبنائي ...، ألم تُلد فى أرضي ، ألم تشرب من مائي ، ألا تتنفس من هوائي ... لم فعلت ذاك يا ولدي !! هل أناديك الآن بولدي ؟! ، لست ولدي...

كيف لك أن تقتل ابنائي ؟؟! ، لن تذهب بعيدا ، فالجزاء من جنس العمل يا من بعتنى وحرقت قلبي على أزهاري...

أسمع صوت التكبير ، أسمع صوت صراخ الشباب ، أسمع صوت التهليل ، صوت اسعافات ، صوت بكاء ، شباب خائفة هناك ، شاب يجري وينادي بصراخ لإطفاء حريق السيارة ، هناك جريح ، وهناك مصدوم....

ولكن خوفي الآن على أحمد...

أرى أم أحمد تسمع للراديو ، صدمتها أشد من صدمتي ، أطفأت الراديو خوفا من.... ، ولكن للآسف ابنك يسمع الآن من هاتفه وكأنه يعلم الانفجار مخصوص له...

أترين يا أم أحمد ، أحمد يصرخ ويبكي ويقول لك هذا مستحيل ، أنه يخرج امسكيه أرجوكِ لا تدعيه يرى ما رأيته ، أرجوكِ لا تدعيه يرحل .... جمال وعبد المؤمن فقط احترقا...

أحاول ايقافك يا أحمد ، أحاول امساكك ، توقف يا ابني ، لا أريدك لك رؤية ما يؤلم قلبك ، قلبي رأى ما لا تراه أى عين ، سقطت على الأرض كثيرا ، اصطدمت بالمارين تِباعاً ، شعرت وكأن الشارع طويلا...

وصلت للمكان... وماذا الآن؟؟!

رجفة يديك ... دموع عينيك ... صوت شهقاتك ... تنفسك... علو صدرك.... لم تعد تصمد جلست قريباً بين المشاهدين.. بدأت تهزو .. بدأت تؤشر لهم...

جاء أحدهم حضنك وقال: هل تعرفهم....

نظرت له وكأنك تريده أن يكذب عليك ... وسألته هل هما بخير ؟!...

اشتد من احتضناك وأخبر من حوله بإبعادك عن المكان ... بدأت تصرخ وتقول هم أحياء.. وعدوني أن نتناول العشاء معاً...

أراك توقفت عن الكلام عندما رأيت...

أحد الشباب همّ بإخراج جثمان جمال ، كانت جثته محترقة احتراقاً كاملاً ، رأيت ارتجاج جسمك ، بدأت تحرك رأسك يميناً ويساراً ، وضعت يدك من دون وعى على الشاب الممسك بك وكأنك تخبره خفف عني قليلاً ، قام الشاب بإخفاء وجهك بصدره واحتضنك وتسحب للخلف ، أخبرك بالتماسك وأنهم شهداء عند الله ....

ليس أي أحد ينال هذا الشرف يا أحمد ف ابتسم لأصدقائك...

مرت ثلاث أيام على أحمد وهو جالساً بغرفته يحمل بيديه بطاقتين ، كان من المفروض أن تكون بين يدي أصحابها الآن.. بالغد ستقام مسرحية أحمد ، بالغد حلم أحمد كان من المفترض أن يحقق...ولكن ؟؟! ليس الحال كما كان....

فُتح باب غرفة أحمد ، أرى مدير أحمد أنه ياسر ، نفخ بصوت عالٍ ثم مسح على رأسه تقدم من شباك غرفته وأدخل نور الشمس ، سحب كرسي واقترب من سريرك وقال /" أحمد بني اذا كنت غير قادراً على الاشراف غدا لنصك ومسرحك دعنا نزيل المسرح ، دعنا ننهي هذا...."

قاطعه أحمد سريعاً وقام من السرير وكأن أحدهم داس على قلبه وصرخت /"لاااا أحد ، لا أحد منكم يمسك ما لمسه إخوتي ، لا أحد يزيل أي مجسم فيه روح عبد ، لا أحد يزيل لون اختاره جمال ، لا أحد يزيل روحي من هناك ، ألا يكفى تركوني هنا وحدي ، لماذا لم اذهب معهم؟؟! ، لماذا سحبت تلك البطاقات ؟؟! ....هل هناك أعز منهم ...

بالغد سأكون حاضراً سأحقق حلمنا جميعاً ، سأحقق ما كنت أتمناه من العالم ....أرجوك اتركوا ما ساعدوني به ولا تقتلوا قلبي يكفى روحي...."

ياسر/" أحسنت يا أحمد ، فلسطين تحتاج لنا ، هناك من روى ترابها بدمه ، وهناك من يرسم لها التراب ويحدده ، دع قلمك يرسم لها الأمل ...."

وجاء اليوم الموعود ... يوم مسرحية " أنا فلسطين "...

كان المسرح مليئاً بالزوار ليس فقط من أهل فلسطين ، حلم أحمد تحقق لأنه فاز بجدارة على نصه وترتيب المسرح واختياره الموفق للصور والمجسمات....

لم يعلموا بأن قلم أحمد اتحد مع سيف عبد المؤمن وزاد جمال .... أنا فقط أعلم وأنتم....

وبعد النتيجة طُلب كلمة من صاحب النص....

تقدم أحمد بخطواتٍ بطيئة ، مائلة قليلاً ، يحتضن بطاقتين ، يضع قلما بجيبة القميص الأمامية ... كان هزيلاً وتعبا ومهموماً...

مسك مكبّر الصوت ونفخ به بصوت عال ليس ليجربه بل ليريح قلبه قليلا قبل البدء... نظر الى كرسيين فارغيين بأول سطر من المسرح ، أشار عليهما وقال/" كان من المفروض أن يجلس هناك عبد وبجانبه جمال ، عبد علق كل الرسومات ، جمال زاد المسرح جمالا ..."

لم يستطع الصمود بسبب خيانة تلك الدموع ، بدأ صوت شهقاته يُسمع قال بصوت منخفض /" من قال القلم لا يحتاج للزاد والسيف ، عبد انا متعب يا أخي ، جمال أنا وحيد يا صديقي ، فلسطين لم بقى القلم حي ؟؟! ..."

"أنا كذبت عليك يا عبد قلت سأكتب أجمل نثر ، صدقني من وراء قلبي قلت ذاك الكلام ، جمال شكلك وشخصيتك على اسمك ، يا ليت قطعت يدى قبل سحب بطاقتكما منكما ، فلسطين عندما تفاخرت بقلمي فقط لاغاظة السيف والزاد ؛ لكن أرى القلم يحتاج للسيف والزاد ..."

حرك يديه بصعوبة ناحية قميصه أخرج ورقة مكتوبة بها شيء نظر لها وكورها بيده وقال بصوت متقطع ومتألم

/" كتبت لكما هذا الشعر ....ولكن لن أسمعكم اياه ايها الحضور ، سأرتجل الآن شعرا لإخوتي ....

أيا أخ لم تلده أمي...

من دونك حطم حُلمي....

أيا عبد ألم تقل أنك سندي....

أيا جمال ألم تقل أنك أخي...

هل أفرح لكما أم أزيد أوجاعي...

تالله القلم من دون سيف وزاد غير مكملِ..."

تصفيق حار بالمكان ، تصفير من الشباب ، هناك شاب يصرخ أنا أخوك يا أحمد ، هناك آخر يصرخ عبد وجمال الآن بالجنان فافرح لهما ، هذا يبكي على طرف المسرح ، تلك تحاول اخفاء دموعها المنسابة....

صوت واحد أسكتكم جميعا... صوت قلمي عندما بدأ بالغناء...

مَوطني الجلالُ والجمالُ والسَّنـاءُ والبهـاءُ في رُبـاك والحيـــــاةُ والنّجـــــاةُ والهناءُ والرّجاءُ في هـواك

هل أراك سالماً مُنعّماً وغانماً مُكرّماً هل أراك فـي عُلاك تبلغُ السّماك مَوطني الشبابُ لن يكلَّ همُّهُ أن تستقلَّ أو يبيد نستقي من الرّدى ولن نكون للعـدى كالعبيد لا نُريد ذُلّنا المؤبدا وعيشنا المُنّكّدا لا نُريد بل نُعيد مجدنا التّليد مَوطني موطني الحسامُ واليراعُ لا الكلامُ والنزاعُ رمزنا مجدُنـــــا وعهدُنـــــا وواجبٌ إلى الوفا يهزُّنا عِزُّنا غايةٌ تُشرف ورايةٌ تُرفرفُ يا هَنَاك في عُلاك قاهراً عِداك مَوطني

فلتصمد يا بني... وانا ايضا كتبت لك ... فاسمع من فلسطين...

أيا احمد تالله ذاك الحدث تكرار...

فأصمد يا بني واثبت بإصرار...

عبد وجمال في الجنة مع الابرار...

أما فلسطين عدوها داس على الأوتار...

أنا بدونكم بلد من دون أنصار...

نصري ... قوتي...ثباتي...عزوتي...لكم من دون خيار...

أنا فلسطين.....

هل اكتفيت أيها القارئ من قصتي ؟؟! ، ذاك هو شعبي ، اولئك أبنائي... كيف لو ذكرت قصة شيخ فلسطين ؟؟! ، ام لو ذكرت لك اسد فلسطين.... كيف لو وصفت لك حال عائلة الشهداء ؟؟! هل سيتحمل قلبك كل الوصف ؟؟!

أترك لي دعوة من قلبك وتمنى الخير لأبنائي...انا فلسطين.

رنيم محمد